العرب
الأربعاء 2020/02/26
السنة 42 العدد 11629

المسلسلات والأفلام العربية تساهم في النكوص الاجتماعي

الدراما تحولت إلى مُعلّم وعلى صانعيها الحذر مما يقدمونه للناس

السجن ليس كما تصوره الدراما

للدرامـا المصرية دور كبير في تشـكيل الصور الذهنيـة والإعلامية لدى المتلقـي عن مختلف مرافق الحياة، ومن بينها المؤسسـات، ومنها بطبيعة الحال المؤسسـات العقابية وفي مقدمتها السجون، هذه الصور الإعلامية التي تخلق مادة ثقافية يتناولها الملايين من المصريين، بل والعرب، تشـكل نافـذة لإطلاعهم على عوالم خفية، فيها حيوات وعلاقات وحكايات ما كان للناس معرفتها لولا الدراما والسينما.

محمد الحمامصي
كاتب مصري

يتطرق كتـاب "السـجون والدراما.. المؤسسـات العقابيـة فـي الدرامـا" للباحثين أشـرف رجب الريدي وسـارة مختـار جمال، إلـى الصـورة الإعلامية التـي تعرضهـا الأفـلام السـينمائية والمسلسـلات التلفزيونيـة المصريـة للمؤسسـات العقابيـة ونزلائهـا مـن السـجناء وإداراتهـا والعامليـن بهـا والسـجون نفسـها، وعلاقتها بالصورة الذهنية التي تتكون عن تلك المؤسسات وعناصرها لدى المشاهدين.

يلفت الباحثان في كتابهما، الصادر عـن دار العربي، إلى أن كل المؤسسات الحكومية وغير الحكومية تعمل على تحسـين صورتهـا، ومن ضمن هذه المؤسسـات التـي لها دور بالغ الأهمية في المجتمـع بصفة عامة المؤسسـات العقابيـة والتي يطلق عليها أيضا المؤسسـات الإصلاحية ومنها "السجون"، حيث يعـد دور هذه المؤسسـات مـن الأدوار الخطيرة التي تعمـل على تقويم المجرم وتنفيـذ العقوبـة لمـا ارتكبه مـن فعل مخالف للقوانين.

التغيير الاجتماعي

في ظل دور الدراما كفن يحتل نسـبة مشـاهدة عالية عند الجمهـور المصري وخاصـة الفئـات العمريـة الصغيـرة، والتـي مـن ضمنهـا طـلاب المرحلـة الثانوية بشـقيها الثانوي العام والفني. وفي إطار محاولة المجتمع تعديل سلوك الأفـراد والحفاظ عليهم مـن الوقوع في براثن الجريمة، تعمل الدراما على عرض بعض المؤسسـات التي تواجه السلوك المنحرف والسـلوك المخالـف وتقومه وهي المؤسسـات العقابيـة، والتي يتم تناولهـا بصـورة كبيرة على مسـتوى أنواع الدراما المصرية المختلفة سـواء كانت من خـلال الأفلام السـينمائية أو المسلسلات التلفزيونية.

ويلفت المؤلفان إلى أن المسلسـلات التلفزيونيـة تسـاهم فـي التغييـر الاجتماعي، وتعمـل على توجيه الأنظار إلى قضايا الناس، وذلك من خلال الإفادة منها في تهيئة الأفراد للقيام بدورهم في إحداث التغيير، والنمو الثقافي حيث ما يقرب من 70 في المئة من الصورة الذهنية التي تتشكل لدى الإنسـان في المجتمع الحديـث مسـتمدة من وسـائل الإعلام الجماهيرية. والمسلسـلات التلفزيونية تُصور في كل مشـكلة مجتمعية لونا من ألوان الصراع. وتجـذب جمهورا كبيرا؛ ذلك أنها عندما تُقدم في وسائل الاتصال المختلفة تعرض قصة مشوقة وأحداثا جذابة، كما تقدم شخصيات قد يتعاطف معها الجمهور، أو يحبها، أو يتوحد معها، أو ينفـر منهـا، وللدراما أثر كبير في المسـاعدة في تحقيـق نهضـة المجتمعات وتثقيفهـا، وترسـيخ التنمية الشاملة التي تنشدها كل الدول.

وأكـد الباحثـان علـى أن الجمهور يتعرض لسـيل جارف مـن الأفـلام والمسلسـلات فـي وسـائل الاتصال المختلفة لتحل هـذه الوسـائل محـل الخبـرات، حيث تعـد الأعمـال الدرامية من أكثـر المواد التي تسـتميل جمهورا هائـلا، فالأفراد قـد ينهمكـون في مشـاهدة الأفـلام أو المسلسـلات ويتوحـدون مـع الأبطال ويعيشون أحلامهم وآلامهم، وقد ينسون الواقع الذي يعيشون فيه.

وباعتبـار أن مرحلـة المراهقة من المراحـل المهمـة والصعبة فـي حياة الإنسـان حيث يقضـي المراهقون وقتا طويلا للتفكيـر في مسـتقبلهم في هذه الفتـرة الانتقاليـة بعـد التخلـص من الطفولـة، ويحاولون تعلـم الأدوار التي سـيقومون بها كناضجين، يصبح هؤلاء الأطفال المراهقين من أكثر الفئات عرضة لتأثيرات وسـائل الاتصـال، وخصوصا الأفـلام السـينمائية باعتبـار أن هـذه الفترة تعد حاسـمة في تطويـر الهوية الشـخصية والذاتية لهم. ويبين البعض أن الأعمال الدراميـة من أهم ما يُقدم في التلفزيـون، حيث تلجأ إلـى حيل عديدة لجـذب الجمهور، إلا أنها قد تتناقض مع القيـم وأخلاقيات المجتمع وسـلوكياته المألوفة؛ ومـن هنـا كان التأثير الكبير للدرامـا فـي عملية التغيـر الاجتماعي؛ ما تسـبب في ما يسـمى بالتسيب وعدم الانضبـاط، وظهـور أنـواع عديـدة من الجرائم وشيوع التفكك الأسري، وتدهور نمط الحياة في القرية والمدينة.

مادة منحرفة

يوضـح المؤلفـان أن الأفـلام السـينمائية تؤثـر في نشـأة السـلوك الانحرافي لدى الشـباب مـن خلال عدة طرق، حيث أن الأفلام تعد وسـيلة شيقة ومثيرة للتسـلية، قد تدفع الشـباب إلى السـرقة إذا لم يكن ميسـرا له مشـاهدة الأفـلام فـي دور السـينما، ويظهـر الانحراف عندما يحاول الشباب محاكاة الأبطال، وتقليد ما يرونه على الشاشـة، كمـا قد تؤدي الأفلام إلـى انحراف القيم الأخلاقية بما تحويه من مشاهد الخلاعة والانحـراف، وقـد تثير كذلـك النزعات الجنسية في أحط صورها، بالإضافة إلى أن عرض أفـلام الجريمة يضعف الوازع الاجتماعي ما يؤدي إلى إدراك الشـباب لطرق أخرى للكسب غير المشروع.

ويشـير المؤلفـان إلى أنـه برغم أن هناك القليـل مـن الأدب الأكاديمي الذي حاول استكشـاف أفلام السجون، والتي انكشـف أنها لـم تناقش المعرفـة التي يحصل عليها الجمهور من وسائل الإعلام لبناء صورة عـن العالم، وصورة للواقع، بينما هذه العملية لها أهمية خاصة.

وفـي رأي المؤلفيـن لا تـزال هناك شـكوك حول قدرة وسـائل الإعلام على تصوير السجون بشـكل مناسب، فغالبا مـا يركـز محتـوى قصـص السـجون علـى أحـداث اسـتثنائية مثـل أعمال الشـغب والهروب والإفراج عن السجناء الخطيرين. لذا كان لزاما التعرف على ما الفرق بين الصـورة الذهنية والإعلامية كمفهوم وإطار لتشكيل الواقع الاجتماعي والصـورة الذهنيـة عـن المؤسسـات العقابيـة والتـي تمثلهـا السـجون في هذه الدراسـة، ونظرية الغـرس الثقافي والتـي تعـد إحـدى النظريـات التـي تناولـت تكوين وتشـكيل الصـورة من خلال وسـائل الإعلام المختلفة وخاصة التلفزيون.

وقد جاء الكتاب في أربعة فصول الأول منها أوضح مفهوم وأهمية المؤسسـات العقابية (السـجون) وعرض لأنواع هذه المؤسسـات، وأمثلتها فـي مصر، ونظم إدارة المؤسسـات العقابية، والسـجون في اللغة ومعانيها المختلفة. بينما تطرق الفصـل الثاني إلـى الصـورة الإعلامية والصـورة الذهنيـة من حيـث المفهوم، والفرق بينهما، وعلاقة كل منهما بالآخر، وكيفية تشـكيل الصورة الذهنية، وأهمية تشـكيل الصور في المؤسسـات، وعلاقة الإعلام بتشكيل وتعديل الصورة الذهنية.

> الجمهور يتعرض لسيل جارف من الأفلام والمسلسلات في وسائل الاتصال المختلفة لتحل هذه الوسائل محل الخبرات

وتنـاول الفصـل الثالـث الإجراءات المنهجية لدراسـات الحالـة والأدبيات والدراسـات السـابقة، حيث تـم إجراء دراسـة حالة على الأفلام السينمائية في فترة زمنية محددة، ودراسـة حالة أخرى على مسلسـل "سـجن النسـا" ودراسة حالـة ميدانيـة علـى طـلاب المرحلـة الثانويـة وصورتهـم الذهنيـة تجـاه المؤسسـات العقابية في ضوء تعرضهم للدرامـا المصرية. وأفـرد الفصل الرابع لعرض صورة المؤسسـات العقابية في الدراما ولـدى الشـباب والمراهقين في ضوء نتائج دراسـات الحالة، والتوصل إلى الاستنتاجات والتوصيات المقترحة لهذه الدراسة في ضوء نتائجها.

وقـد توصـل الباحثـان إلـى عـدد مـن النتائج منهـا ضـرورة تفعيل دور الرقابـة علـى الإنتـاج الدرامي سـواء في المسلسـلات التلفزيونيـة أو الأفلام السـينمائية. وتحقيـق التعـاون بيـن المؤسسات الحكومية باختلاف طبقاتها ومنهـا بطبيعـة الحـال المؤسسـات العقابيـة، والجهـات المنتجـة للأعمال الدراميـة وأجهـزة الإعـلام فـي الدولة للعمـل علـى توصيل الرسـالة المتعلقة بـدور هذه المؤسسـات بشـكل سـليم. إضافـة إلى دعوة المؤسسـات العقابية إلى تفعيل مكتب للعلاقات العامة إن وجد أو استحداثه وذلك لتحقيق التواصل مع المجتمع المحيط.

الأزمات تكتب الروايات

حسونة المصباحي
كاتب تونسي

خلال هذه السنوات التي يشهد فيها العالم الرأسمالي أزمات اقتصادية خانقة، تسببت في بروز أحزاب يمينية متطرفة، تستعيد الدول كما الشعوب ذكرى الأزمة الاقتصادية الخانقة التي شهدتها البلدان الرأسمالية الغنية عام 1929، والتي كانت لها انعكاسات سلبية لا على شعوب تلك البلدان وحدها، بل على شعوب العالم برمته.

وإذا ما كانت تلك الأزمة مُدمّرة على المستوى الاقتصادي والمالي والسياسي، فإنها كانت مفيدة وناجعة على المستوى الأدبي، إذ أنها أبرزت مواهب كبيرة في مجال الرواية الأميركية بالخصوص، لتكون تلك السنوات السوداء التي سبقت الحرب الكونية الثانية "العصر الذهبي للرواية الأميركية" متجسدة بالخصوص في أعمال كل من جون شتاينباك، وأرسكين كالدويل، وجون دوس باسوس.

ففي روايته "عناقيد الغضب"، يتطرق جون شتاينباك إلى الأزمة المذكورة من خلال عائلة من المزارعين تقيم في مقاطعة أوكلاهوما بعيدا عن "وال ستريت" حيث حدث الزلزال المالي المدمر.

وبسبب الإجراءات المجحفة التي سلطتها البنوك عليها، تضطر تلك العائلة التي باتت تواجه الجوع إلى ترك مزرعتها متوجهة إلى كاليفورنيا آملة أن تجد فيها الخلاص من محنتها. وبرفقة فتاة حامل، وكاهن مجرد من عمله، وطفلين يعانيان من الجوع طوال الوقت، يبدأ رب العائلة المدعو طوني جواد، الخارج للتو من السجن، رحلة طويلة تعيش خلالها العائلة صنوفا من العذاب والأوجاع والمحن. ففي الطريق يشاهد أفرادها عائلات مشردة، وأطفالا يبكون من الجوع، وأمهات مُعفّرات الوجوه والثياب بغبار السفر الشاق، وأناسا يحرقون مزارع البرتقال، ويصرخون في الحقول لاعنين البنوك، و"وال ستريت"، والرأسماليين الجشعين، وموظفي البيت الأبيض الذين يتقنون صناعة الوعود الكاذبة. وقد تمكن شتاينباك من أن يجعل من عائلة جواد رمزا لضحايا الأزمات الاقتصادية لا في الولايات المتحدة الأمريكية وحدها، وإنما في جميع أنحاء العالم.

> الروايات هي الفن الأدبي الأكثر قدرة على مواجهة الأزمات الكبرى وتفكيكها ونقدها وتعرية خفاياها مثلما حصل في أميركا

وكان أرسكين كالدويل قد مارس مهنا عدة، منها الصحافة قبل أن ينصرف إلى كتابة الرواية. وعندما انفجرت الأزمة الكبرى، انشغل بها ليكتب رائعته "طريق التبغ" التي حققت له شهرة عالمية واسعة. وهو يقول إن فكرة هذه الرواية التي لا تزال إلى حد اليوم واحدة من أروع الروايات الأميركية، ولدت في ذهنه في "وقدة الصيف الشاوية" في مقاطعة جورجيا. وكان هو يسير في طريق "مُعبرة، ثلمتها عجلات العربات، ونبتت على حواشيها الأعشاب البرية، وكانت الأرض موحشة".

ربما لهذا السبب بدأ كالدويل روايته المذكورة على النحو التالي: "كان لوف بنسي يتخذ سبيله متثاقل الخطى إلى المنزل، عبر طريق التبغ المغطاة بالرمل الأبيض العميق، وعليها أخاديد حفرتها الأمطار، وقد حمل على ظهره كيسا من لفت الشتاء".

وفي روايته، رسم كالدويل صورة مرعبة عن الناس الجائعين الملتفين بالأسمال البالية. وهم مشردون في الحقول وفي الطرق لا يدرون لهم وجهة في الحر كما في البرد. وهم في بحث دائم عن الطعام حتى أنهم أصبحوا يظنون أن العالم أقفر من الخبز ومن الرحمة، وأن الأرض تحولت إلى صحراء ليس عليها سوى الأشواك والصخور، وعليها تخيم وحشة مستديمة.

وفي روايته التي حملت عنوان "الثروة" التي لاقت نجاحا هائلا، حاول جون دوس باسوس أن يبرز الأخطاء والممارسات السياسية والمالية والاقتصادية والاجتماعية التي أدّت إلى تلك الأزمة الخانقة. كما سعى إلى أن يبيّن أن تدهور القيم الأخلاقية في عالم أصبح يسيطر عليه الجشعون للمال والثروة كان سببا أساسيًا هو أيضا في انهيار الاقتصاد الرأسمالي.

صدرت الرواية عام 1936، وفي البداية يركّز باسوس على تصوير "السنوات السعيدة" التي عاشتها الولايات المتحدة الأميركية في العشرينات من القرن الماضي. لكن عقب مرور عام فقط على ذلك الخطاب المفعم بالتفاؤل، والثقة في المستقبل، انهار الاقتصاد العالمي والأميركي، وأضحت المدن التي كانت زاهية بالأمس القريب، كئيبة، وموحشة تعجّ بالعاطلين عن العمل واليائسين والمتسولين والجوعى والفاقدين لأيّ بصيص من الأمل.

وقد تمكّن باسوس من أن يضع إصبعه على الجرح العميق، وأن يحلّل بأسلوبه الروائي الرفيع الأوضاع التي أفضت إلى أزمة 1929. وفي روايته هو يدين بشدّة الباحثين عن الثروات السهلة، وتجّار الكحول السريين وعصابات الجريمة المنظمة وأصحاب رؤوس الأموال الكبيرة الباحثين عن الربح السريع. أما مصير الإنسانية فلا يعني لهم شيئا يذكر.

وفي روايته يشنّ باسوس هجوما عنيفا على هؤلاء الذين سمّاهم "الأثرياء الجدد" مثل تايلور، مبتكر الطريقة العلمية المثلى في العمل لـ"مقاومة الكسل" بحسب تعبيره، وهنري فورد الذي حصل على ثروة طائلة اعتمادا على الأفكار المسبقة لوالدته التي احتفظ بها مثلما "يحتفظ بالأوراق المالية الجديدة داخل خزانة". ولم ينس الروائي أن يوجّه نقدا لاذعا للمؤسسات الإعلامية المتعاطفة مع أصحاب رؤوس الأموال الكبيرة، وأيضا إلى أولئك الذين حكموا بالإعدام على نيكولا ساكو، وبارتولوميو فانزاتي، العاملين الإيطاليين المهاجرين اللذين لم يقترفا أي جريمة سوى أنهما كانا يريدان أن يتمتعا بحياة كريمة في بلاد "الثروة الكبيرة".

انطلاق ربيع الثقافة البحريني

المنامة – انطلقت مسـاء الثلاثاء أولى فعاليات مهرجان "ربيع الثقافة" الخامس عشـر، وذلـك عبـر العـرض المسـرحي الراقص "دموع حديد".

و"دمـوع حديـد" عـرض للرقـص المعاصـر، جاء احتفالا بـإرث المعمارية الراحلة زها حديـد، وقدمته فرقة الرقص المسـرحي الحديـث بالاشـتراك مع دار الأوبـرا المصرية، وهو مـن إخراج وليد عوني.

وجـاء العـرض فـي مواءمـة لفكـر المعماريـة زهـا حديـد، حيـث تتفادى الخطوط المسـتقيمة في مـوازاة لرقص الدراويـش. فـي الوقـت الذي تـدور فيه الصوفيـة حـول دائـرة لا نهايـة لهـا، تُفتـح أذرع الراقصيـن باتجاه السـماء، وتتجمـد، فتصبـح رقصتهـم اسـتعارة للحركة الكونية والإطـلاق. هذا ما ذهبت إليه زهـا حديد حين حررت وسـعت إلى تفكيك الهندسـة المعمارية وتحريرها من خمولها، فغيرتها إلى الأبد.

ويتزامن انطـلاق ربيـع الثقافة يوم 25 فبراير مع يوم السـياحة العربي الذي تم اعتمـاده حين كانـت المنامة عاصمة للسياحة العربية عام 2013، وهو اليوم الذي يصادف أيضا ذكرى ميلاد الرحالة العربي ابن بطوطة.

ونذكـر أن مهرجـان ربيـع الثقافـة يقام بتنظيـم من هيئة البحريـن للثقافة والآثـار ومجلـس التنميـة الاقتصادية، وبمشـاركة مركز الشـيخ إبراهيم للثقافة والبحـوث، وبالتعاون مع مركـز البارح للفنون التشـكيلية ومركـز لافونتين للفن المعاصر. ويستمر المهرجان حتى نهاية شـهر أبريل القادم مقدّما مجموعة كبيرة مـن المعـارض والحفـلات الموسـيقية والعروض المسرحية والحلقات النقاشية وعروض السينما والمحاضرات وغيرها.

عرض على خطى زها حديد